

أم المنذر

رضي الله عنها

obeikandi.com

أم المنذر

والدها: قيس بن عمرو وأمها: رغبة بنت زرارة وأخوها سليط بن قيس وهو أحد البدرين، وقد ظفر بالشهادة في معركة جسر أبي عبيد، أما زوجها فيدعى: قيس بن صعصعة وقد أنجبت له ولده المنذر الذي تكنى به، واسمها: سلمى.

قال: متى أسلمت أم المنذر يا أبي؟

قلت: كانت أم المنذر من أوائل المسلمات الأنصاريات في المدينة، الذين قال الله تعالى فيهن: ﴿وَالسَّيِّدُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

دخلت أم المنذر رحاب الإسلام بعد وصول مصعب بن عمير إلى المدينة سفيراً لرسول الله ﷺ ليعلم أهلها أحكام الإسلام ويفقههم في الدين الجديد، وقرأ عليهم كتاب الله سبحانه وتعالى.

فقد سمعت أم المنذر بنزول مصعب ضيفاً على أسعد بن زرارة فأسلمت مع أخيها سليط بن قيس وأختها أم سليم وعميرة.

ثم أقبلت على رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار حتى

ببايعنه قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُمْسِرْنَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المنحة: ١٢].

وها هي ذي أم المنذر تحدثنا عن مبايعة نساء الأنصار لرسول الله ﷺ فتقول:

جئت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزن، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: «ولا تغشثن أزواجكن»، قالت: فبايعناه ثم انصرفنا.

فقلت لامرأة منهن: ارجعي فلي رسول الله ﷺ: ما غش أزواجنا؟

قالت: فسألته، فقال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره» - أي تهادي بمال زوجها غيره -.

وخرجت أم المنذر من لقائها برسول الله ﷺ، وهي أسعد ما تكون بعد أن حدد لها رسول الله ﷺ ولأخواتها خطة مسيرتهن في الحياة، ومبدأ تعاملهن مع أزواجهن.

قال: وماذا كان من أمر أم المنذر بعد ذلك يا أبا؟

قلت: أَكَبَّتْ أم المنذر تنهل من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ما شاء الله لها أن تنهل، وبعد أن توفرت لديها حصيلة طيبة، أخذت تروي عن رسول الله ﷺ أحاديثه.

وذكر صاحب أعلام النساء، وصاحب تهذيب التهذيب، وصاحب الاستيعاب أن بعض رواة حديث رسول الله ﷺ أمثال: يعقوب بن أبي يعقوب المدني، وأم سليط بن أيوب بن الحكيم، وأيوب بن عبد الرحمن، قد رووا عنها بعض ما وعته من أحاديث المصطفى ﷺ.

قال: وهل كانت أم المنذر كريمة يا أبي؟

قلت: إن البخل ليس من أخلاق المؤمنين، ولا من طباعهم، وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها - في بعض الأحيان - ويأكل من طعامها برفقة بعض صحابته الكرام، وكان ﷺ يصف طعامها بالبركة ويقول عنه: إنه ذو نفع - وقد جاء في سنن أبي داود في رواية عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية أنها قالت:

دخل عليّ رسول الله ﷺ، ومعه عليّ ﷺ، وعليّ ناقة - : أي: مريض يتمائل للشفاء - ولنا دوالي معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام عليّ ليأكل، فطفق رسول الله ﷺ يقول لعليّ: مَهْ - أي: كُفْ - إنك ناقة، حتى كفّ عليّ ﷺ، قالت: وصنعتُ شعيراً وسلقاً، فجئت به فقال رسول الله ﷺ: «يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك».

وجاء في صحيح أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى فيما رواه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها سلقاً، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق، فتجعله في قدر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عَرَقَة.

قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة، فنسلم

عليها، فتقربُ ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، وفي رواية: ليس فيها شحم ولا وَدَكٌ - أي: دَسَمٌ - وكنا نفرح بيوم الجمعة، ولعل تلك الصحابية المضياف كانت أم المنذر متَّعها الله بالجنة.

قال: لبيتك تخبرني يا أبي بشيء عن فضل أم المنذر!.

قلت: اسمع يا بني، كانت أم المنذر كما علمت سبابة إلى الإسلام، فعالة للخير، مطعمة للأضياف، سخية ذات يد معطاء، وقد أسعفها جُذُها واجتهادها أن تحصل على لقب: «ذات اليعتين».

أما كيف كان ذلك؟ فقد حدثك قبلُ عن مبايعتها مع نساء الأنصار لرسول الله ﷺ بعد أن اختارت الإسلام ديناً لها، فكانت تلك بيعتها الأولى، وكانت بيعتها الثانية «بيعة الرضوان» تحت الشجرة، وذلك في السنة السادسة للهجرة النبوية، حين أراد رسول الله ﷺ أن يزور مع أصحابه البيت الحرام ويطوف به.

فقد خرج ﷺ بالمسلمين يقصدون مكة لهذا الغرض، فجمعت له قريش جموعها وحشدت حشودها، وأرسلت رسولاً عنها يتحرى لها وليخبرها بما يريد الملمون، ورجع رسول قريش يعلمها أن الرسول ﷺ وأصحابه لا يريدون شراً، ولا يرغبون إلا زيارة البيت وتعظيم حرمة.

غير أن قريشاً أبت أن تسمح بتلك الزيارة، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليرسله إلى قريش ويخبرهم بما خرجوا له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش

عداوتي إياها، وغلظتي عليها، فلو بعثت عثمان بن عفان فهو أعز بها مني.

وبعث رسول الله ﷺ عثمان فلما دخل مكة أجاره أبان بن سعيد بن العاص حتى بلغ قريشاً رسالة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال عثمان: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسوه عندهم ثم بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أنهم قتلوه، فقال ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، وكانت تلك بيعة الرضوان، وقد بايع فيها من المسلمين رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة، وتخلف عن البيعة الجد بن قيس الأنصاري؛ لأنه كان من المنافقين.

ونالت أم المنذر مرضاة الله إذ بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة مع سائر المبايعين، ونزل فيهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝﴾ [الفتح: ١٨ - ٢٠].

ووقف رسول الله ﷺ تحت شجرة سَمُرَة، وأسرع الناس إليه ليبايعوه، وكانت أم المنذر وهي خالة لرسول الله ﷺ؛ لأنها إحدى نساء بني النجار، وصواحبها في عداد المبايعين، ففازت برضاء الله، وكانت لها البشرية العظيمة، بإبعاد جسدها عن النار، وإدخالها الجنة مع الأبرار، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ [التوبة: ٨٨ - ٨٩].

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

إنها أعظم بشرى، وأفضل تكريم يدركه أحد في هذه الحياة الفانية ليحيا في نعيم دائم لا ينقطع في الحياة الباقية في دار تجمع الأبرار والملتقين، من عباد الله الصالحين.

وقد روى جابر حديثاً عن رسول الله ﷺ أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكوه إلى النبي ﷺ ويقول: ليدخلن حاطب النار، فقال له الرسول ﷺ: «كذبت لا يدخلها، شهد بدرًا والحديبية».

فهنيئاً لأهل بدر، وهنيئاً للمبايعين تحت الشجرة التي وقتهم عذاب جهنم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ [الفرقان: ٦٥ - ٦٦].

قال ولدي: ألا تحدثني عن جهاد أم المنذر يا أبي؟

قلت: بلى يا بني! كانت أم المنذر ونساء الأنصار يخرجن إلى ساحات القتال مع رسول الله ﷺ، يشاركن الرجال جهادهن لأعداء الله، فيداوين الجرحى، ويسقين العطاش، ويحملن لهم الطعام.

وكان صَنِيعُهُن موضع تقديرٍ من رسول الله ﷺ لهن وإكبارهن، وربما خَصَّهْن ببعض المكرمات، وكان لأم المنذر نصيب منها وذلك عقب غزوة الخندق.

كانت قريش قد حَزَبَت الأحزاب واتفقت مع بعض القبائل، ودَسَّت إلى يهود بني قريظة من يقنعهم بنقض عهدهم مع رسول الله ﷺ، فاستجاب اليهود إلى رغبة قريش، فليس أسبق منهم إلى نقض العهود، وخيانة المواثيق.

وأرسل الله بعض جنوده الذين لا يعلمهم إلا هو عوناً لرسوله ﷺ، وهبَّت ريح عاتية قلبت قدور المشركين وأطفأت نيرانهم وهدمت بنيانهم، فانقلبوا إلى مكة هاربين بدعوة من زعيمهم أبي سفيان بن حرب، وعاد رسول الله ﷺ بالمسلمين إلى المدينة، وجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وقال له:

إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة، ونادى منادي رسول الله ﷺ في المسلمين: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

وخرجت أم المنذر ﷺ لأداء واجبها مع صواحبها، وحوصر بنو قريظة خمسة وعشرين يوماً، ثم استأسروا للمسلمين، وحَكَّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ فيهم، وكان حليفاً لهم في الجاهلية.

وأصدر سعد حكمه العادل في ناكثي عهد رسول الله ﷺ أن يقتل الرجال، وتسبى النساء والأطفال، وتؤخذ الأموال.

وسر رسول الله ﷺ بحكم سعد؛ لأنه حكم الله من فوق سبع سماوات، وعرض الرجال على القتل، وأقبل ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ، وكان خطيبه، وسأله أن يهب له الزبير بن باطا وأهله وماله ففعل، غير أن الزبير أقسم على ثابت أن يلحقه بأحبته من اليهود، فقتله، ثم أقبلت الخالة أم المنذر إلى رسول

الله ﷺ، واستوهبته رفاعه بن سموأل القرظي الذي تشفع بها؛ لأنه كان يتردد على أخيها سليط بن قيس، فقالت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إن رفاعه بن سموأل كان يزورنا وله بنا حرمة، فهبه لي، وكان رفاعه خال صفية أم المؤمنين ﷺ.

ولم يخيب رسول الله ﷺ رجاءها فقال لها: «نعم هو لك».

فقالت: يا رسول الله، إنه سيصلي ويأكل لحم الجمل.

وأشرق وجه الحبيب الأعظم، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساحرة، فقال: «إِنْ يُصَلِّ فهو خير له وإنْ يَشْبَ على دينه فهو شر له».

وأنقذت أم المنذر رقبة رفاعه من القطع، ثم أعلن إسلامه، وأخذ الناس يقولون: إن رفاعه مولى أم المنذر فانقطع عن زيارة دارها، فبعثت في طلبه، ولما جاء قالت له: لست بمولاة لك غير أنني سألت رسول الله ﷺ أن يهبك لي ففعل، وقد حقنت دمك وأنت على نسبك، فلما سمع ذلك عاد إلى زيارتها.

واختار رسول الله ﷺ من سبي بني قريظة ريحانة بنت زيد فعرض عليها الإسلام فأبّت أول الأمر ثم وافقت، فلما أسلمت أعتقها رسول الله ﷺ، ثم تزوجها في بيت أم المنذر ﷺ.

قال: وماذا كان من أمر سليط بن قيس أخي أم المنذر

يا أبي؟

قلت: كان سليط بطلاً مغواراً، يملك جرأة فذة، وشجاعة نادرة، ولم تخف بطولته يوم «بدر» على أحد، فقد أبلى سليط في تلك المعركة أحسن البلاء، واستبسل استبسالاً رائعاً، وروى

سيفه من دماء المشركين وألحق بهم أفدح الخسائر.

ومن حق سليط أن يفخر بحضور تلك الموقعة التي استؤصلت فيها رؤوس الشرك، من زعماء قريش الذين نالوا بأذاهم رسول الله ﷺ والمسلمين، وأنزلوا بالمستضعفين منهم عذاباً أليماً، لكنهم ذاقوا وبال أمرهم، وحصدوا ما زرعوه، وكانت نهايتهم في قعر بئر «بدر» المظلمة، ألقوا فيها بعد أن أمر رسول الله ﷺ أصحابه برميهم فيها.

وقد ترك ذلك في نفوس القرشيين جرحاً عميقاً لا يندمل؛ لأنهم لم يستطيعوا نقل قتلاهم إلى مكة لدفنهم ليتسنى لهم زيارتهم بين حين وحين.

وتابع سليط جهاده، وكانت استجابته لداعي الجهاد قوية، فما إن يسمع النداء حتى يكون في طليعة الملمين.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال حين بعث أبا عبيد إلى العراق: يا أبا عبيد، إنه لم يمنعي أن أستعمل سليط بن قيس إلا أنه رجل يتسرع إلى الحرب، ولا يصلح للحرب إلا الرجل المتأنى، فأخاف أن يوقع المسلمين في موقع يهلكهم، فاستشره وسمع منه.

وسار أبو عبيد بجيشه، ومعه سليط بن قيس حتى إذا اعترضهم نهر الفرات، سأل أبو عبيدة أصحابه الرأي، فأجاب سليط: إن فارس قد حشدت حشداً عظيماً وزودتهم بعة هائلة ليس لها نظير، مما لم تألفه العرب من قبل، فاجعل يا أبا عبيد ملجأ ومرجعاً يرجعون إليه من هزيمة إن كانت، فقال أبو عبيد، لا والله لا أفعل، وما أراك إلا قد جئنت يا سليط قال سليط:

لا والله ما جبنت، ولست بأجرأ منك نفساً وقبلاً، غير أنني أشرت بالرأي، وأبى أبو عبيد وأقسم ليقطعن الفرات عند الجمر، وأمر الناس بقطعه، واشتد القتال، فحمل أبو عبيد على فيل فضرب مشفره، لكن الفيل قضى عليه، ولاذ الجند بالفرار، وصمد سليط حتى استشهد رحمته الله ثم انحاز المثنى ببقية الناس، فلما أقبلوا على عمر قال لهم: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فتكم إنما انحزتم إلي، ثم أمدهم بمدد عظيم فنالوا من عدوهم ما يشتهون، وعلم الناس أن رأي سليط لم يَغْدُ الصواب.

رحم الله أم المنذر وأخاها سليطاً وجزاها عن الإسلام خير الجزاء.